

علي جعفر الحلاق

قمر للبلاد الجديدة

((تداعيات علي ابن زريق الواسطي (١)))

قال :

وطن ، مفلق
دون كل الرجال ..

وسادة وجهي ،
وغصن ماء ،
احمل في نعاسه علامة ،
يا قمر الكرخ ، ويا حجارة السماء
ولست انسى :
أن لي من عمركم عامين
تركت فيهما يدي ،
عمرى المبتلى ،
جئت دونما عينين ..

آه واسط (٢) ،
اذكر ، هذي العشية ، كل روازينها ،
اتذكر دهلتها (٣) ليلة الفيضان
زرازيروها وهي تعترض الريح ،
واسط نائمة في دمي ،
مثلما الوشم في حنك امي ،
واسط دشداشة
بلل الماء اذياها ،
لم يكن للخراب طريق الى دفتنا ،
او عصافيرنا الحية القلب
- ذاك الزمان
قفة في المياه التي
عافها المد مخبوبة ،
ان ذاك الزمان
حسك طيع ،
وطن كان يلعب فيه المحبون
يزهر في رمله السيسان (٤) ..
آه .. ما كنت غير صبي يشاجر اثوابه
ونواياه (كيف انقلبت

(٢) ان واسط، هنا، وارجو الا يكون ذلك تدخلا في حربة القاريه
تمثل مدينة الواسطي وكل ما في ماضيه من طفولة ، اوجاذبية،
او هموم اخاذة .
(٣) ربما كانت كلمة « الفرين » اكثر ترفعا وكياسة ، غير
ان لكلمة « دهلة » ، كما ارى ، كثافة طينية واضحة .
(٤) السيسان : نبات ، عال، واخضر ، وبهيج، لكنه مؤقت جدا .

يا لهذا العناء الذي
عاشر الروح عامين ،
كيف اهتدي ؟
نشتر ، الان ، قمصانه فوق بيتي ؟
بل بالقش ،
والندم المرّ صوتي ،
يا لهذا العناء ،
لقد سلّ روجي من دفتها ،
والضياح المحبّب ،
جردها من عصافيرها الطيبه ،
قال لي :
في طريقك ارض
بلا تعب ، واغان
بلا كدمات ،
وذاكرة معشبه ..

قال لي :

لو ترى قمر الارض
ها انه ناضج ، وطري
(اتعلم ان الكواكب في الكرخ
يصعب توديعها ؟) (١)
قمر كالحصان : يهلل في البر
يملا بالذكريات عليقته
قمر كالصبية : اذ يتخطى بها الجوع دغل الشباب
البريء

قال لي :

هل تجيء ؟
يا لهذا العناء الذي دلّني :
قمر يسكن الكرخ ، متسع
لهوم الكثيرين ، منفلق
عن هموم الكثيرين ، لكنه - ربما كان ذلك
اعذب اوصافه -

طيب ،

فيه شيء من الشعر ..
(كم وطننا طيبا تستطيع
تشم اشجاره ولياليه ؟)

(١) : تعتمد القصيدة ، مع تحوير وازافة ، رحلة الشاعر
علي ابن زريق البغدادي .
(١) واضح ان في القصيدة اكثر من تضمين من قصيدة علي
ابن زريق البغدادي : لا تعذليه ..

وأخر .. (٩)

منكمشا ،
واسط ، الليلة ، امرأة
تردت في مدامها خبزة (ان ما تثرذ الامهات
شهية الى آخر العمر ..)
ها انسي

اتقرب من قمر الكرخ :
هاجنت ،

هل ستبادلني الدمع بالدمع ،
(كانت تبادلني الدمع ..
كانت معذبة ،

تشببت بي في الرحيل
لم يكن سفري في الضحى ،
كنت ارحل - ان الاصح : اضيغ مملكة -
في صباح ثقيل ..)

لي من غبار الشجر المالح وردة ،
حملتها من حطب الفقر ،
الم تروا يدي خرقه
مليئة بالريح ، وجهي سلة
من حسك الغراف .. (١٠)
والشوارع المكتنبة
قصيدة ، بللها الدمع
وهذي الذكريات المتربه .. ؟

جئتك ، الآن ، ان ورائي نهرا
من الامهات ، الخراب الذي جاء توا .
ورائي ،

ماضيا يتشقق كالجرح
في اول النرف ، ان ورائي
شجرا مالحا ،
ومخاوف

يعرفها اصدقائي ..

جئتك ، الان ، هلا شممت دمي ،

ثم « عطابة » (١١) تتناسل ،

هلا شممت ايدين ، او القلب ؟

(ما كنت غير صبي

يشاجر اتوابه ،

ومساوئه الفضة ..)

الآن اكتب :

ذا قمر كالعشيقة ،

ام وحشة ؟

ذا حصان يلوح في كل باب

ام يد للخراب

واغثي :

(٩) اغنية شعبية .

(١٠) الغراف : نهر واسط ، يشيع ، كثيرا ، في اغاني الحب .

(١١) العطابة : خرقه تشتمل فيها النار ببطء ، ودونما لهيب .

الى كائن ،

يشبه الشجر المستحي .. (٤)
واسط ، الان ، ام تعلم اطفالها
كيف يجتمعون على صحن واحد ،
كيف يفنون في « غطوة » (٥) باردة ،
وتغني :

حديثك ،

ام مطرة الصيف ،

ما بللت عشبة واحدة (٦)

وتعاتب :

اني

اخبتك ، الان ، للساقية

حين اعجز عن طفرها .. (٧)

وتعلمني :

فسحة

في همومك ، او مدخلا

في صباباتك الآتية ..

آه .. اذكر ، هذي العشيقة ، اعذب

ما يكره المرء نسيانه : الصبوات ،

الخيول ،

الكرابي الكئيبة ،

اعذب ما يكره المرء نسيانه : وطن

لم يكن عرضة للخراب ..

واسط ،

كانت في دمي آتية ،

من مطر ، على يدي انحنت الطيور ،

واصلت حديثها :

مملكة ضيعتها صبيحة الانين

وفي مساء السفر الشاحب

جفت وردة ،

في طرف الضلع ،

بكت قبيلة في العين ..

اتبادلني الدمع بالدمع ، يا قمر الارض ،

والذكريات الرديئة بالذكريات الرديئة ،

.. ها ان بين ثيابي هففة السيسان ،

البرودة ،

خصافة التمر ،

(خيط من الدق في حنكها

يشبه الشذر ..) (٨)

ها انني اتوزع :

اين التي عبرت واحدا

من بينها ،

(٥) الفطوة : غطاء خفيف ، ذوسامات واسعة ، فيرمقاوم للبرد .

(٦) من غناء الامهات لابنائهن في جنوب العراق .

(٧) من اغاني الامهات ايضا .

(٨) الدق : الوشم .

أذا ورق"
للشماتة ، ام ورق
للرثاء ؟

ام هوى يتوزع بين اثنتين :
بلاد" أحاول الفتها ،
وبلاذ ورأئي .. ؟

آه .. جئتكَ ،

هل تبصر ، الان ، تحت الدم امرأة ،
تتشبث بي ؟ (يالهذا الخراب الذي عاشر الروح ..)
او ماضيا يتشبث ؟ (يالخراب الذي ..)
وطنا ؟ (آه .. لو أن في الأرض ذاكرة
تستطيع التذكر ،
او تستطيع السلو ..)

بي هاجس :

هذا الخراب : الدهول
ارضان ،

ما بينهما يهدر الماضي ،
ضحاياه ،
وهذا القروي ،
الخبول ..

حائط : يتهاوى على العشب ،
ذاكرة" : تنشط الان (من يستطيع تملك احلامه ؟)
وطن يتلوّى :

أخبئك ، الان ، للشيب ...
اعجز عن طفرها
مطرة الصيف ...

ماض : يرافقني كل يوم ،
الى الدمع ، والنوم ، والدائره
يتعقبنني : خطوة ،
خطوة ،

حائط" :

كم تمنيت ان يفلق الذاكره
وتمنيت ان يسقط الحد" : بين بلاد
تعشقتها في الطفولة ريثانه ،
وبلاذ ، اريد

الفة مع شرطتها ،
وعصافيرها ،

وهواها الجديد ..

غير أن الخراب الذي جاءني
مثلما يدخل اللص ، او مثلما
حائط" يتهاوى :

وواسط" ام" ،

وارض ،

وريج ،

است املك غير تذكرها

والبكاء عليها ..

وواسط"

منشفة" للجريح ..

كان يهمس :

صوب بلاد ،
بلا تعيب ..

ذي وحشة

تكتظ ، غير اني

وسادة تفنني :

- وابن زريق الواسطي يقول
هذا انا كالحجر النائي ،
هذا انا ،

عصفورة

تعترض الريح

وتبقى

رغم هذا البرد

سهرانة ،

في دربها المشاكس ،

الممتد ..

ذي بلاد" احاول الفتها ،

والتقرب من نبضها (ليس ينفعه العذل ،

انّ علياً يجازف ،

ما بين ارضين ..)

اترك ما بين ارضين ،

ما يكتب الان :

هذا الخراب المشاغب ،

هذا العناء الجديد ..

(.. يجازف ..)

يا للخراب الذي

علم الفقراء الكتابة ،

والمشي ما بين ارضين ..

علمهم :

انّ في حطب الفقر أرضا

بلا تعب ، واغاني

بلا كدمات ،

وعلمهم :

انّ اعذب ما في الخراب المباغت :

فوضاه ،

زحزحة القلب ،

اعذب ما فيه ...

(كان علي" مقلا ،

ولا يكتب الشعر من دون خضضة ،

او عناء ..) (١٢)

ويعلمني :

انني اخترت هذا الطريق المائل :

لا ورق" للحلاقة ،

لا ورق للرثاء ..

علي جعفر العلاق

(١٢) ممكن جدا ان الشاعر علي ابن زريق ما كان ليتربك لنا
قصيدته الوحيدة لولا مروره بذلك الخراب الذي كلفه هدوءه ،
واجباءه ، وبقائه حيا حتى .